

## عمنا الكريم

- د. زهرة خاتون<sup>1</sup>

ترجمة من الأردوية: د. منير الإسلام<sup>2</sup>

ولو أنّ كُتّابة مقال عن شخصية جليلة كعمي الكريم (البروفيسور الفاروقي) أمرٌ لا أقدر عليه ولكن كلّمّا أتذكر معاملته الشفيقة الخالية من التكلف التي حرمت منها أنا وأسرتي فيثّرني قلبي على أنّ أكتب شيئاً ولو بكلمات مفكّكة فأقدّمه كهدية شكرٍ له.

أبدأ كلامي هذا بنسبه الذي ينتهي إلى عمر الفاروق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو كما يلي:

فيضان الله الفاروقي بن الشيخ سبحان الله الفاروقي بن الشيخ خادم الحق بن الشيخ علي بخش بن الشيخ غلام مصطفى بن الشيخ غلام أعظم بن الشيخ شميم بن خان تاج الدين بن خان علاء الدين بن إسماعيل خان بن الشيخ محمد أعظم خان بن جمال الدين بن نظام الدين بن بايزيد بن حبيب الله بن الشيخ محمد بن برهان الدين بن نظام الدين بن تاج الدين بن بهاء الدين بن سراج الدين بن حسن بن عبد الله بن عمر الفاروق أمير المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.<sup>3</sup>

كان العمّ فيضان الله الفاروقي المولود في 28/ مارس 1952م أصغر شقيق لوالدي رضوان الله الفاروقي، وكان من أهالي بلدة كوريا بار في مقاطعة أعظم غره. وبما أنه كان أصغر أشقائه وشقيقاته نفاطبه كلّ من جدّنا وجدتنا وأفراد الأسرة بـ"بابو"،<sup>4</sup> وكانوا خمسة أشقاء وأربع شقيقات. وإضافة إلى والدي، كان أشقاؤه الآخرون:

<sup>1</sup> أستاذة مساعدة، قسم اللغة الفارسية، الجامعة المليّة الإسلامية، نيودلهي

<sup>2</sup> أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية ديوان عبد الغني التابعة لجامعة غور بنغا، بنغال الغربية

<sup>3</sup> الشيخ خليل الرحمان الفاروقي: قصص الجليل في سوانح الخليل، ص 741.

<sup>4</sup> البابو (Bābū) كلمة هندية تعني أحبّ الأولاد الذكور صغيراً كان أو كبيراً ولكن كثيراً ما يلقّب بهذا أصغر الأولاد الذكور. (الأعظمي - مدير تحرير المجلة)

مطيع الله وأمان الله وثناء الله ثم عمنا. وكانت الأخوات الأربع الأكبر من عمنا سناً: عمّتنا قدسية وحسنى وسلوى ونجمة. وقد توفيت الأولى مؤخرًا، إذ توفيت عمّتي الأخرى في سنّهما المبكر، كما توفي عمنا أمان الله قبل مدة قصيرة، وتوفي عمنا مطيع الله مؤخرًا. وبفضل الله تعالى عمّتنا نجمة وعمنا ثناء الله على قيد الحياة، وهما يعيشان في أعظم غره.

ولقد اختصت كلمة الـ"بابو" بشخصية عمنا إلى درجة أنّ كلّاً منا كان يخاطبه بهذا اللقب، ولم يكن يعلم الكثير من الناس باسمه الحقيقي فيضان (فيضان الله).

ولما بلغنا أشدنا أضفنا كلمة "العمّ" إلى كلمة الـ"بابو" نظرًا للاحترام، والتي بدأت بها شقيتنا الكبرى قرجين، وكانت أكبر من عمنا بضع سنوات. يمكن تقدير ذلك أنه عندما جاءت والدتنا "كوريا بار" بعد الزواج كان عمنا الـ"بابو" ابن نحو أربع أو خمس سنوات. وعلى كل حال، كان كلّ فرد من أفراد الأسرة يحبه حباً جمًّا.

كانت جدّة عمنا للأم تنحدر من أقصى قرية من أعظم غره، تسمى "سُمبهي" (Sumbhi) حيث كان جدّه من الأم المرحوم أحمد الله وشقيقه الأصغر الشيخ سعيد الله رجلين يمتنعان بكل الوقار والاحترام من القرويين.

تقع قرية "سُمبهي" على بعد حوالي ستة أميال في جنوب مدينة أعظم غره، حيث يمكن رؤية صفوف من أشجار الـ"تار"<sup>1</sup> الطويلة من بعيد، ولعلّ مناخ هذه المنطقة كان ملائمًا لهذه الشجرة، وكان يسكن بها معظم الإقطاعيين المسلمين، كما كان يقطنها طبقات دنيا من النّسّاجين والحلّاقين والحياطين والفخّاريين والهندوس من التجّار ومرّيّ الجواميس وغيرها.

وكوريا بار التي كانت قرية أجداده، كانت أيضًا قرية نائية من محافظة أعظم غره

<sup>1</sup> التار (التار) شجرة تشبه شجرة النخيل إلا أنّ ثمارها أشبه بكثير بثمار النارجيل، وعلى ثمارها تكون قشور بعضها فوق بعض. وهذه القشور عندما تمرّها بالخشب اللطيف تقطر عصيرًا حلواً نشربه بل نأكله. ولقد تناولت عصيرها مرارًا. (الأعظمي)

كمثل "مُنيهي"، وكانت تقع ضمن محافظة "كهوسي" (Ghosi) ولكنها الآن تأتي ضمن محافظة مئو (مئونات بهنجن) التي تم تشكيلها حديثاً، وهي تقع على بُعد حوالي خمسة أميال من بلدة محمد آباد كوهنه (Gohnā) شرقاً، وكان نهر "نونس" (Tanvas) حاجزاً بينهما، لم يكن يوجد أيّ جسر عليه من قبل، ولكن الآن بني عليه جسر جميل بالقرب من حيّ محمد آباد. ويُقال عن اسم هذه القرية أنها سميت على اسم رجل صالح يدعى "كوريا شاه" (Kauriyā Shāh) الذي كان يسكن فيها، ويوجد ضريحه في الجانب الشمالي الشرقي منها، فسميت "كوريا بار". ويسكن فيها كلّ من الهندوس والمسلمين مع بعضهم البعض.

كان والد عمنا، أي جدنا الراحل، هو الثالث من بين أربعة أشقائه، وقد توفي ثلاثة منهم في شبابهم بمن فيهم جدنا بسم الله الذي كان حافظاً للقرآن الكريم، ووجدنا حبيب الله المتخرج من دار العلوم بديوبند قد توفي، وتلقّى جدنا سبحان الله تعليمه التقليدي في قرية جدّه من الأم. وبصرف النظر عن الدراسات الدينية، فقد تفوّقوا أيضاً في علم الطب. والسبب في ذلك أنّ أعمام جدنا الثلاثة، الشيخ محمد عمر والشيخ عبد العزيز والشيخ عبد الحفيظ كانوا علماء وأطباء معاً، وكانوا ينتمون إلى عائلة السادات التي أعطيت قرية باسم "راجن بور" كإقطاع، وكان لهم بيت واسع في حيّ "أورنك آباد" من بلدة "مئونات بهنجن"، والذي لا يزال باقياً وسليماً حتى الآن.

ولما بلغ عمنا من العمر ست سنوات أتى إلى عمه الشيخ حفيظ الرحمن أيمن في دار العلوم بـ"مئو" للتعليم والتدريب الابتدائي. وكان الشيخ حفيظ الرحمن موظفاً حكومياً في كانبور، ولكنه ترك وظيفته لمتابعة التعاليم الإسلامية وإعطاء أطفاله بيئة دينية، فحُجّاء إلى دار العلوم بمئونات بهنجن، وتولّى فيها منصباً في مكتب المدرسة، بالإضافة إلى ذلك كان يدرّس طلابها اللغة العربية والفارسية والموادّ الأخرى، كما كان لديه تهمام بالشعر فكان شاعراً جيداً، وكان يلقّب نفسه

ب"أيمن"، وقد تلهذ والدي والعمّ لديه.

أقام بها عمنا حتى عام 1965م وحصل بها تعليمه من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الثانوية للغة العربية. وفي عام 1967م دخل في إحياء العلوم بمباركپور، وفي عام 1968م التحق بالصف السابع في دار العلوم بديوبند، وقرأ صحيح البخاري على الشيخ نضر الدين رحمه الله، ثم حصل منها على شهادة الفضيحة.

وقد بدأ عمنا حياته الأكاديمية والتعليمية من دار العلوم بمئو، حيث حظي فيها بتدريس طلاب صف "منشي" (Munshi).

وفي عام 1972م التحق بكلية العلامة شبلي بأعظم غره للحصول على التعليم الحديث، فحصل على درجة البكالوريوس في عام 1974م بدرجة الامتياز في مواد العربية والإنجليزية والفارسية والتاريخ. ثم حصل على شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها من جامعة الله آباد عام 1976م، وكذلك حصل على شهادة الدكتوراه بعنوان "علماء لكناؤ وخلفيتهم الأدبية والثقافية بخصوص اللغة العربية وآدابها" من نفس الجامعة عام 1984م وتلك تحت إشراف الأستاذ إيس. إيم رفيق رحمه الله.

وفي غضون ذلك أصبح محاضراً مؤقتاً في الجامعة الملية الإسلامية (بنو دلهي) عام 1979م، فاستمرّ بخدمة التدريس هناك حتى عام 1980م. وبعد ذلك انتقل إلى بروده، وانضمّ إلى قسم اللغة العربية بجامعة بروده حيث مكث حتى عام 1983م.

وبعد بروده سافر إلى حيدر آباد، واستمر في خدماته الأدبية حتى عام 1987م في قسم اللغة العربية بالمعهد المركزي للغة الإنجليزية واللغات الأجنبية (CEFL) بحيدر آباد.<sup>1</sup>

وفي مارس العام 1987م قدّم الطلب إلى جامعتين كبيرتين لدلهي - جامعة دلهي وجامعة جواهر لعل نهرو، ولحسن الحظ كان ناجحاً في كليهما، ولكنه رجّح جامعة

<sup>1</sup> جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية (EFLU) English and Foreign Languages / University حالياً

جواهر لعل نهرو حيث تم تعيينه في مركز الدراسات العربية والإفريقية كأستاذ مشارك (Reader).<sup>1</sup>

وفي عام 1997م تمت ترقيته إلى درجة الأستاذية (Professorship) المنصب الذي بقي عليه حتى عام 2017م عندما تقاعد بانتظام من واجباته التدريسية. وأثناء ذلك، قام بتوجيه نحو 60 أو 65 باحثاً الذين منحوا شهادات الماجستير في الفلسفة (M.Phil.) والدكتوراه (Ph.D.) تحت إشرافه.

وقد تم نشر عدد من كتبه ومقالاته التي اكتسبت قبولاً حسناً، بما فيها "قواعد اللغة العربية" و"لکاؤ کمرکز للدراسات العربية" وما إلى ذلك، وكان عضواً في عشرات المؤسسات التعليمية، وكان من مدوّني موسوعة الإسلام، وموسوعة اللغة الأردية أيضاً. خلاصة القول أنّ نطاق مساعيه وإنجازاته العلمية واسع لدرجة أنه من المستحيل أن تحيط بجميعها كاتبة بسيطة كمثل. هنا وطنت نفسي فقط للتعبير عن انطباعاتي، والحقيقة أنّ كلماتي هذه عندما تخرج من فمي وقلبي تخرج معها نفساتي.

كنا جميعاً الإخوة والأخوات قريين منه لدرجة أننا عندما بلغنا أنه وقع ضحية هذه الكارثة العالمية (COVID-19) التي انتشرت في جميع أنحاء العالم بشكل العدوى، لم تكن قلوبنا مستعدة لقبول هذه الحقيقة. قضينا ثلاثة أيام أو أربعة في السؤال عن صحته وتطوراتها، ولكن اليوم الخامس ثبت يوم نحس بالنسبة لنا إذ بلغنا خبر وفاته- الذي لا يزال يصعب تصديقه- يبدو أنه ذهب إلى مكانٍ ما، وسيعود قريباً.

لقد قضينا وقتاً ممتعاً مع عمّنا منذ الطفولة. وعندما كنا صغاراً اعتدنا الذهاب إلى أعظم غره في العطلة الصيفية، على الرغم من أنّنا كنا قاطنين في دلهي. وفي ذلك

<sup>1</sup> لم يرحّل أستاذي هذه الجامعة بل حينما لم يرض البروفيسور سليمان أشرف بضمّه إلى القسم بناء على وثيقة الإجازة من المعهد المركزي بحيدرآباد التي لم يكن يحملها أستاذي ذهب به البروفيسور ضياء الحسن إلى جامعة جواهر لعل نهرو وضمّه إليها. (الأعظمي)

الوقت، كان جميع الأقارب الأعزاء يجتمعون، وكان عمّنا يعيش أيضاً في مئو (مئو نات بهنجن)، ولكنه كان باستمرار يأتي إلى "كوريا بار" (بلدتنا)، وكان الأطفال دائماً يلتفون حوله، وأحياناً كان يذهب بنا إلى المزرعة، وأحياناً يذهب إلى الحديقة، ويأكل الأثمار ويُطعمنا إياها، وإذا جاء المساء كان يطلب الشاي من السوق، وأحياناً يطلب البكوري،<sup>1</sup> ويطعم الجميع، وإذا كانت الليلة، يجذب إليه كلّ الأطفال بقصة شقيقة يذكرها لهم. وهذه غيض من فيض من عاداته وروتيته.

وعندما جاء إلى دلهي في عام 1979م بدأ بالتدريس في الجامعة (الجامعة المليّة الإسلاميّة) وفي ذلك الوقت كان يعيش مع والدنا. وفي تلك الأيام، كانت أختانا تعيشان في كولكاتا ثم في الله آباد بعد الزواج، ولكننا الثلاث الأخريات أي أنا وشقيقتاي كما ندرس في الجامعة المليّة الإسلاميّة. وفي مثل هذه المناسبة، تعلّنا من عمّنا كثيراً، لأنّ والدنا كان مشغولاً من الصباح إلى المساء بأعمال مكتبه أو في كثير من الأحيان كان في جولة إلى مدينة أخرى، وفي هذه الحالة، كان العمّ هو المرشد لنا والمعلم. وفي عام 1980م عندما تحدّثوا عن زواج العمّ اكرتري منزلاً منفصلاً بالقرب منا، وتم العقد مع بنت لذوي قربانا في "باره بنكي"، فتزوج في 25 ديسمبر عام 1980م من "فرزانه سلّهما"، ثانياً بنات محمد مصطفى المحترم.

في تلك الأيام كان والدنا مريضاً، لذلك لم نتمكن من حضور ذلك الحفل، فقام عمّنا أيضاً بتأجيل حفل الزفاف. وعندما اجتمعنا جميعاً في وطننا خلال العطلة الصيفية لعام 1981م، تم الاحتفال بالزفاف في حفلة عظيمة، وفي نفس الحفل تزوجت أختنا الثالثة.

عندما اختار عمّنا جامعة بروده في عام 1981م صحبته زوجته ثم إلى حيدر آباد ومن ثم إلى دلهي. وهكذا كانت هناك مسافة بيننا وبين عمّنا لبضع سنوات، ولكن

<sup>1</sup> البكوري (Pakaurī) مؤنث البكورا (Pakaurā) والأخير معروف في البلاد العربية. (الأعظمي)

بعد مجيئه إلى جامعة جواهر لعل نهرو (JNU)، استؤنفت علاقتنا، وكان الآن مع زوجته أولاده عرفان الله وأبو طلحة الملقب بـ"ثاني" والأخت آمنة. وكانت علاقتنا جيدة للغاية مع بعضنا البعض، وكنا نحتفل معاً بعيد الفطر وعيد الأضحى أو أيّ حفل زفاف، وإذا مرض أيّ شخص في المنزل أسرع عمّنا إليه على الفور.

وفي هذه الفترة قام ببناء منزل خاص على بعد مسافة قصيرة من منزل والدنا المحترم، فلم تحل بيننا جدّة المنزل. وأثناء ذلك تزوّجنا، أنا وشقيقتي الكبرى، وبقي والدانا وحيدين، ولكن ابن أختنا الثانية، طارق، الذي كان تحت رعاية والدنا منذ سنّه المبكر، اعتنى بهما وتولّى مسؤوليتهما، وكان عمّنا يشرف على هذه العناية، ولكن الموت كان القدر منذ سنتين فودّعتنا والدتنا قبل عامين، ولم نكد نخرج من هذه المحنة إذ هزّنا موت عمّنا هزّاً عنيفاً من داخلنا، وكنا نحاول أن نعزي أنفسنا إذ غادرتنا شقيقتي الكبرى. إنا لله وإنا إليه راجعون.

بالإضافة إلى ذلك، يبلغنا بالاستمرار نعي العديد من أقربائنا وأوليائنا، اللهم ارحم جميعنا واحفظنا من هذه العدوى. (آمين)